

مخطوط فهرسة عبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي

مصدر من مصادر دراسة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغربي والسوداني

أ: عبد الرحمن بن محمد بعثمان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الغر المحجلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

أما بعد:

مقدمة

يعتبر إقليم توات¹ من أهم الحواضر العلمية التي لعبت دورًا هامًا في إثراء الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب العربي في العصر الحديث ، فقد شكل على مدى تاريخه الضارب في القدم، منطقة ربط بين حواضر شمال المغرب العربي العتيقة وحواضر ما وراء الصحراء الإفريقية الناشئة، ذلك أن وقوع المنطقة ضمن طريق القوافل القادمة من الشمال والمتجهة الى جنوب الصحراء، وركاب الحاجة الآخذة نفس الطريق أو تلك القادمة من حواضر المغرب الأقصى الجنوبية والمتجهة نحو الأراضي المقدسة، وقد كون هذا المعطى رافدا هام لتلاقي الثقافات والمعارف مما أضفى على المنطقة ديناميكية علمية أسفرت على إنتعاش حركة التأليف في شتى أمجلة العلوم ترجمها الكم الهائل من المخطوطات التي شكلت ميراثا علميا ومخزونا تراثيا يظل شاهدا على ثقل الإقليم العلمي والثقافي وكثرة علمائه الذين تصدروا حلقات الدرس وألفوا الكثير من المصنفات، أغنوا بها المكتبة التواتية وقتذاك .

وموضوع الحراك الحضاري والعلمي بين توات وجورها خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي موضوع يكتسي أهمية بالغة من حيث أن هذا الأقليم كان - كما أسلفنا - الحلقة الوسطى التي تربط بين القطر المغربي حيث بقايا النشاط العلمي والفضاء السوداني الشاسع وحواضره الناشئة²

¹ إختلف أهل التاريخ قديدا في ضبط أصل تسمية توات فذكر صاحب تاريخ السودان أن سلطان مالي(كنان موسى) ، الذي مرّ بتوات أثناء رحلته للحج، فأصابه وجع في رجله في هذه المنطقة، فلفظ كلمة توات؛ وهي تعني في لغة سنغاي وجع الرجل.في حين أورد الشيخ مولاي أحمد الطاهري أن سميت كذلك لأنها تواتي للعبادة ينظر : عبد الرحمن السعدي، باريس: طبعة هوداس، 1964، ص 07. وأيضا: نسيم النفحات في ذكر جوانب من تاريخ توات ، مخطوط بخزانة كوسام ، ورقة 03.

² من الواقعي أن لانصيح على هذه الفترة صفة الأزدهار العلمي العام نظرا لأن القرن 12هـ /18م عرف

وبرغم الأبحاث الجادة التي تناولت التأريخ للحركة العلمية في توات بشكل عام¹ ، إلا أن الكثير من جوانب الموضوع الدقيقة لا يزال يحوكها الكثير من الغموض، ويعود هذا ظني إلى اتحاد أحد عاملين عطلا أن لم نقل أعاقا السير الحثيث نحو تكون قاعدة مصدرية صلبة يمكن الاعتماد عليها للمضي قدما في طريق ترسيخ تقاليد بحثية أصيلة في هذا المجال.

أما العامل الأول، فيتمثل في أن جل المادة العلمية التي تتناول الموضوع لا تزال في جلها مخطوطة لم تمتد إليها يد التحقيق ولم تحظ بالنشر بل ظلت حبيسة "رفوف خزائن توات البدائية" التي تفتقر إلى أدنى شروط الحفظ، فكان مصير الكثير من الدرر النفيسة الضياع والاندثار بدل أن تنشر ليستفيد منها جمهور الدارسين و الباحثين.

أما الثاني، فيلخص في عدم وجود معلومات إحصائية دقيقة حول مخطوطات القطر التواتي تمكنا من وضع فهرس شامل للمخزون التراثي التواتي نظرا للعقلية السائدة في مجتمعاتنا والمبنية على تراكمات عقائدية، تنحو في بعض الأحيان نحو الميتافيزيقية، و التي تجعل من صاحب المخطوط يتحرج أو يتشدد في إخراجه أو حتى الإعلان عن ملكيته إياه².

أولا/ التعريف بمؤلف المخطوط:

المولد:

بداية الانحطاط الحضاري في جل حواضر بلاد المغرب وأنحصر الأشعاع العلمي في حواضر المغرب الأقصى كفاس ومراكش وغيرها،

¹ أذكر مثلا لاحصرا دراسة الدكتور أحمد الحمدي حول الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، ودراسة الدكتور محمد الصالح حوتية حول توات والازاود، وأخيرا دراسة الدكتور صالح بوسليم حول المؤسسات التعليمية في توات من خلال الوثائق.

² - قد يصل الأمر ببعض العائلات المالكة لخزائن المخطوطات، أن تدرجها ضمن قائمة المواريث، فيجري عليها وللأسف قسمة الميراث، فتقسم الموروث العلمي " بالعدل " على رؤوس الورثة وعادة ما يكون الوارث جاهلا فيضيع الموروث، أو يكون " محافظا " معتقدا بالبركة فينتكم على ما لديه من مخطوطات فيحرم بذلك الباحث من معلومات هامة تثري بحثه.وقد وقفت شخصيا على خزانة لأحد علماء جنوب توات قام وراثتها بتقسيمها مما أدى إلى ضياع الكثير من مخطوطات الخزانة.

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن معروف بن يوسف التواتي سنة 1121هـ / 1709هـ¹ بتتلان وهي إحدى أشهر قصور مقاطعة تيمي، من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة، إذ هي من أجل البيوتات التواتية، حيث يتصل نسبها بالخليفة الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه². والتي ازدادت شهرة بعد تأسيس الزاوية في تتلان من طرف العلامة الشيخ أحمد بن يوسف الوانقالي التتلاني، وهو عم والد المؤلف، والذي جعل منها منارة علمية عم نفعها جميع البلاد التواتية

فالمؤلف الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التتلاني التواتي إجمالاً، نشأ في بيت جاه وحسب وصلاح، وبيئة علم ومعرفة وكلها عوامل كونت شخصه وصقلت موهبته وهذا ما سوف أتطرق إليه في سياق حديثي عن حياته العلمية .

الدراسة والشيخوخة:

لقد أثنى محمد بن عبد الكريم التمنيطي على الشيخ عبد الرحمن التواتي، حيث قال عنه ".... شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ، العلامة، الفهامة، علم الأعلام، ومرشد الإسلام، أبو زيد كان - رحمه الله - عالماً، ثاقب الذهن ذا وقار وديانة، انتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية....."³ ، وقال عنه المهداوي في تقييده الدررة الفاخرة: ".... عالم العصر ... من أهل قيام الليل، كان من غرائب الدهر تقدم في جميع فنونه وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، صالحاً، مجتهداً، نوازلياً، عجبياً، فاضلاً، في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان

"4

1 - التادمكي محمد الأمين الأنصاري، القواعد النفيسة في شرح المعرب، شرح علي بن سلطان المكي، الطبعة الأولى، دار البخاري، الرياض، سنة 1416-1996م، ص12 .
2 - جاء في بعض التقييد المخطوطة أن نسب المؤلف و العائلة التتلانية يتصل بالخليفة المذكور، وفق الشجرة التالية: عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن داود بن محمد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن أبان بن عثمان بن عفان (رضه) ينظر: (مؤلف مجهول، تقييد لأنساب العائلة التتلانية خزانة باعبد الله، أدرار. وأيضاً، تقييد خطي في موجود بزاوية تتلان لدى أحفاد الشيخ، وأيضاً: (بلعالم، محمد باي، الغصن الداني، ص03)

3 - جوهرة المعاني، ورقة 38 وأيضاً: سيدي عمر، قطف الزهرات ، ص99.

4 - الدررة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية، مجطوط بخزانة باعبد الله ، أدرار، ورقة 5-6 .

ومن خلال ثناء مترجميه عليه، يمكن أن نلمس مدى الثقل العلمي للشيخ في البلاد التواتية إذ هو من بين أشهر أقطاب الفقه المالكي في توات، كرس حياته للعلم والتعليم، وقد صرح بذلك في مقدمة فهرسته حيث قال "...وكنت منّة من الله ممن ألهمه لطلبه وعلق همته بحماه وكتبه ... " 1

تلقي العلم على يد مجموعة من المشايخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي حيث دخل الكتاب في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم على عادة أقرانه، على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التتلائي، وذلك بعد رجوع الأخير من فاس التي كان يعمل فيها مدرسا بجامع القرويين سنة 1129 هـ / 1717م²، وبعد حفظه القرآن انتقل إلى دراسة العلوم الإسلامية الأخرى وفق المنهج التعليمي في البلاد التواتية، حيث درس عليه صحيح البخاري وشمائل الترمذي وكتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض، وبعض مظان فقه مالك كرسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، ومتمن المرشد المعين لابن عاشر ثم درس علوم اللغة والمنطق بدءًا من ألفية ابن مالك ولامية الأفعال والأجرومية وتلخيص المفتاح، والسلم في المنطق، وغيرها من المصنفات التي كان تشكل منهاج التدريس في توات.

ولأن الزاوية التتلائية، فيما يظهر أشبه بالمجمع الفقهي، كانت تستقطب إليها الفقهاء فيجتمعون فيها ويتدارسون قضايا الفقه وما استجد وعسر من النوازل فإن المؤلف استغل ذلك فكان على احتكاك دائم بمن يفد إلى الزاوية من العلماء، ومن أهم العلماء الذين التقى بهم ونهل من معينهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري الذي قدم تتلان لطلب العلم على الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر، حيث يقول في فهرسته "... ولما قدم - ويعني الجنتوري- وجدني صبيا فلما جالسته وقع في قلبي حبه.."³ فدرس عليه المرشد المعين والدرر اللوامع والأجرومية. ولعل انبساط الجنتوري مع الطلبة ساهم في ارتفاع نسبة الاستيعاب لديهم وفي ذلك يقول المؤلف : "... واستفدنا أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا .."⁴ ، غير أن الجنتوري إرتحل إلى بلده

1 - التتلائي، فهرسته، ورقة 01.

2 - ابن أب، ضيف الله بن محمد، رحلته. ورقة 67.

3 - التتلائي، فهرسته، ورقة 03.

4 - نفسه، ورقة 03.

"جنتور"¹ فاستأذن المؤلف أبويه وشيخه بالرحيل إليه، فكان له ذلك فأقام عنده أربعة أشهر ثم رجع إلى تنلان وأقام بها خمسة أشهر ثم عاد إلى جنتور فأقام عند الشيخ قرابة السنة، درس فيها المختصر و صحيح البخاري ثم عاد إلى بلاده. ومن العلماء الذين التقى بهم المؤلف في الزاوية التنلانية، شيخه العلامة عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي²، الذي قدم تنلان لحل خلاف بينه وبين رجل، ولقد أثنى عليه المؤلف في فهرسته حيث وصفه بالولاية والتواضع وحسن الخلق ولين العريكة والتفرس في فنون الفقه واللغة والشعر، ولقد وجد فيه المؤلف ما يسد نهمه في علم اللغة حيث جالسه مدة مقامه بتنلان وكان بينهما تدارس لمقصورة ابن دريد.

لكن الشيخ لم يلبث أن عاد إلى بلاده، مخلفاً حزناً عميقاً في نفس المؤلف، فطلب الأخير من شيخه عمر بن عبد القادر الإذن بزيارة ضريح الولي الصالح محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولم يكن في ذلك يود إلا زيارة الشيخ عمر الرقادي - في الزاوية الرقادية - حيث مكث عنده مدة أسبوع وصف لنا خلالها طريقة تدريس الشيخ الرقادي، حيث نعتة بالمجتهد، إذ كان يدرّس من الضحى إلى صلاة الظهر صحيح البخاري وشرح القسطلاني وبين الظهر والعصر يشرح لطلبته باباً من إحدى المتون .

وبعد انقضاء المدة، رجع إلى تنلان منتزعا وعداً من الشيخ بلقاء قريب، حيث زار الرقادي تنلان وأقع الشيخ أبا حفص بالسماح للمؤلف بمرافقته إلى بلده، فأسلمه في هذه المرة التدريس في الزاوية الرقادية، حيث درّس أبو زيد السُّلم في علم المنطق لكن الأخير استوخم بلده بعد علة أصابته³، فعاد إلى تنلان بعد استأذان الشيخ الذي قبل على مضض مرسلا ولده للدراسة عند المؤلف، وهذا يبين أن الشيخ الرقادي قد لمس تمكنه في العلوم العقلية والنقلية مما جعله يوكل إليه تدريس المنطق ثم يبعث معه ابنه للدراسة على يديه، وتسود هذه الظاهرة في المدارس القرآنية والزوايا التعليمية في توات، فنجد أن الشيخ ينتجب بعض التلاميذ المتفوقين من أجل مساعدته في الإقراء، حيث يتخلى لهم عن بعض الصلاحيات، أجلها عملية التدريس، وهذا الأمر قد ينسحب على ما حدث مع المؤلف.

1 - جنتور من قرى تميمون تبعد عنها بحوالي 60 كلم شمالي ولاية أدرار.

2 - التنلاني، فهرسته، ورقة 25.

3 - ليس المؤلف الوحيد الذي لم يرق له المقام في الزاوية الرقادية حيث سبقه إلى ذلك شيخه ابن أب المزمري الذي غادرها لعله في مائها ينظر: بلعالم محمد باي، محاضرة حول حياة الشيخ محمد بن أب المزمري، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار .

ومن المشايخ الذين التقاهم في تنانان العالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن أب المزمري الذي مر بالزاوية متوجهاً إلى تيجورارين سنة 1151 هـ / 1738م، حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض .

ولم يقبع الشيخ عبد الرحمن في زاويته منتظراً من يقدم عليه من العلماء بل كانت له رحلات عدة في طلب العلم، فأولى رحلات المؤلف العلمية قادته إلى بلاد التكرور صحبة شيخه عمر الرقادي، حيث أقاما بقرية تودن¹ ومنها إنتقلا إلى مدينة أروان² وفيها التقى بشيخه أحمد بن صالح السوقي التكروري حيث درس على يديه بعض المصنفات اللغوية مثل الخزرجية في علم العروض وقد اختار لذلك وقت القيلولة لانشغاله بقية اليوم مع الطلبة الذين كانوا يتلقون الدروس عنه بلغات عدة لاختلاط أجناسهم، من عرب وتكرور وتوارق.

أما برنامج اليوم، فقد كان غاية في الكثافة فكان يجلس في حلقة الدرس من صلاة الفجر إلى القيلولة، ومن صلاة الظهر إلى العشاء، يقدم خلالها دروسا تشمل الفقه والنحو وعلم الكلام وغيرها من العلوم، وقد استفاد منه المؤلف غاية الاستفادة.

وفي سنة (1168 هـ / 1754م) رحل المؤلف إلى سجلماسة، لأخذ علوم القراءات والتجويد عن شيوخها حيث لقي هناك الشيخ صالح بن محمد الغماري³، كما حصل له اللقاء مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهاللي⁴ .

ولعل ركاب الحاج المازة بالبلاد التواتية كان لها الأثر البالغ في حياة المؤلف التعليمية حيث كان الركب يمر بمحطات عدة منها عين صالح وزاوية أقبلي من بلاد تيدكلت وزاجلو⁵ من بلاد توات، وكان طلبة العلم يتحنون مرور الركب لمجالسة من فيه من العلماء وحضور دروسهم والاستجازة منهم، فخلال ذلك التقى المؤلف بعالمين جليلين هما أحمد الأمين الغلاوي التواتي الشنقيطي، الذي هو شيخ شيخه عبد الرحمن الجنتوري وكان لقاءهما في زاوية أقبلي فطلب منه الإجازة. كما اعترض المؤلف ركب حجاج سنة 1147هـ/1734م

1- تطلق عليها الآن تسمية تاودني وهي من أهم مدن شمال مالي .

2 - أروان : مدينة في بلاد التكرور، بينها وبين تمبكتو، ثمانية مراحل إلى الشمال، وتقع الآن ضمن النطاق الحدودي لجمهورية مالي، ينظر: (الأرواني، مولاي أحمد بن بايكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر، 08).

3 - التناناني، فهرسته، ورقة 35.

4 - نفسه، ورقة 37.

5 - زاجلو: من قرى توات تقع اليوم ضمن الحدود الإدارية لدائرة زاوية كنتة، وبها قصران زاجلو العرب وزاجلو المرابطين، وتعرف بوالها ومؤسس زاويتها سيدي علي بن حنيني الأنصاري .

أثناء مروره بقريّة زاجلو، فالتقى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الدرعي حيث أخذ عنه الصحيحين وشفاء القاضي عياض والجامع الصغير للسيوطي وبعض المتون واستجازه في كل ذلك¹.

التصدر للإفتاء:

تصدر الشيخ عبد الرحمن التتلائي التواتي للإفتاء في الديار التواتية، فكان المرجع فيما ينزل من نوازل، وقد وردت في المصادر المخطوطة نبذ من حياته العلمية ودوره الدعوي في القطر التواتي، من ذلك ما أورده صاحب جوهرة المعاني الذي نعتّه بـ " ... منتهى رياسة الفقه بالديار الصحراوية..."، وأوصله إلى درجة الاجتهاد حيث قال " ... وكان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي ..."²، وما يرجح هذا القول هو أن مخطوط غنية المقتصد السائل والذي هو المرجع الفقهي الأساسي في الديار التواتية من استشارات وإجاباته عن النوازل³ كما أخذت فتاواه القسط الوافر من مخطوطي الجامع وغاية الأمان في أجوبة أبي زيد التتلائي واللذين جمعهما الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي الأنصاري و هما بشكل مراسلات علمية بينه وبين ابنه محمد⁴.

كما اعتبر المؤلف رابع أربعة انتهت إليهم شورى القضاء في البلاد التواتية فكان القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري يرجع إليه فيما صعب من المسائل كما أن الشيخ لم يبخل بإسداء النصح لهم وهذا ما بسطه صاحب جوهرة المعاني في سياق ترجمته للمؤلف حيث قال: "..... لم يزل قاضي الجماعة الشيخ عبد الحق معتمدا على فتاويه"، ومن سياق نصحه للقاضي قوله: ".... كتب للقاضي - يعني المؤلف - وإن خاطبتك بالمقول فافرع باب نظرك فإنك مسئول... وأسأل الله لك التوفيق"⁵ وهذا ما يؤكد أن الشيخ كان مستثقلا للقضاء واعيا بمسؤولية القاضي، وإلا فلماذا لم يتقدم للقضاء واكتفى بإسداء النصح وتقديم المشورة للقاضي مع العلم أن الأخير أحد تلامذته .

النتاج العلمي:

- 1 - التتلائي، فهرسته، ورقة 25 .
- 2 - محمد بن عبد الكريم التتلائي، جوهرة المعاني، ورقة 39.
- 3 - البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من النوازل، كلها.
- 4 - غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التتلائي، ورقة 01. 02.
- 5 - محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ورقة 15.

ألف الشيخ عبد الرحمن بن عمر التتلائي عدة مولفات أهمها

01 - أرجوزة في الفلك¹ : نظم التواتي أرجوزة في علم الفلك مكونة من 21 بيتا تكلم فيها

عن منازل النجوم وعدة الشهور

02- أرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص: ووردت الإشارة إليها في مخطوط

جوهرة المعاني².

03- مجموعة تقاييد وفتاوى : جمعها الشيخ محمد عبد الكريم بن عبد الملك

البلبالي في كتابيه الجامع وغاية الأمانى في أجوبة أبي زيد التتلائي³.

04- رحلة حجازية: وهي من أجلّ ما ألف في فن الرحلة في البلاد التواتية قيّد فيه

المؤلف مراحل رحلته مرحلة بمرحلة حتى وصوله إلى البيت الحرام ثم تتبع طريق العودة إلى

القاهرة، تكلم خلالها عن جميع ما رآه وحصل له في تلك الرحلة⁴.

05- مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون⁵ : وهو اختصار لكتاب ألفه شهاب

الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف "بالسمين".

06- أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات و شرح الخطاب: قال

فيها:

لِعِلْمِ أُصُولِ الْفِقْهِ خَيْرَ الْعُلُومِ

عَلَيْكَ إِذَا رُمْتَ الْوُصُولَ بِسُرْعَةٍ

غَمَامَ حَرَامِ اللَّهِ مُجِي الرُّسُومِ

بِتَأْلِيفِ بَحْرِ الْعِلْمِ أَوْحَدَ وَقْتِهِ

مُحَمَّدَ الْحَطَّابِ بَحْرُ الْفُهْمِ

وَطَالِعَ عَلَيْهِ شَرْحَ حَطَّابٍ عَمَ نَفْعُهُ

1- توجد نسخة منها في خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

2 - محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، ورقة 39.

3 - توجد نسخة من المخطوطين بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

4 - توجد منها نسختين الأولى موجودة بخزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ والأخرى توجد بخزانة باعبد الله، أدرار.

5 - اطلعت على نسختين منه الأولى بخزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، كاملة، صفحتها الأولى متأكلة، بقطاع 27.5- 19سم، 34سطر، حبر أسود، عدد أوراقها 141، نسخ الأصل يوم الأربعاء الخامس ومائة، وفرغ من نسخه محمد بن محمد بن عبد الله الفلاني عشية الأحد الموفى 13 ربيع الأول 1187هـ، أما الأخرى مبتورة الآخر من صفحة أو اثنتين، في خزانة سيدي محمد بن أبي نعامة الكنتي شيخ الركب النبوي الشريف، الزاوية العقباوية، أقبلي.أولف، أدرار.

07 - تقريظ على نظم الأجرومية لابن أبي المزمري :

ولما نظم شيخه محمد بن أبي المزمري الاجرومية قرضه تلميذه عبد الرحمن بن عمر بالتالي:

إِذَا رُمْتَ نَظْمًا يُزْرِي بِالذَّرِّ فِي سِلِّكَ فَلَا زِمَ دَا الشَّيْخَ بَيْنَ أَبِ أَخِ النَّسْكِ
بَدَا فِيهِ قَرْدٌ بَيْنَ أَعْلَامِ عَصْرِهِ وَحَازَ بِهِ سَبْقًا وَفَضْلًا بِأَشَاكِ
فَمَا إِنْفَكَ مَدُّ زَمَانٍ يُبْدِي عَجَانِبًا يَسُوعُ قَرِيضَ مُحَكَّمِ النِّظْمِ وَالسَّبَاكِ
وَفِي نُزْهَةٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا تَرَى يُقْرِبُهَا الْمُصْغَى إِلَيْهَا وَمَنْ يَحْكُ
فَقَدْ حَوَّثَ مَعَ إِيْجَازِهَا لَبَّ أَسْلِحَهَا أَدَامَ بِهَا نَفْعًا أَلْهَى وَمَالِكِي²

08 - مختصر النوادر³ .

09- فهرسة شيوخه:

05 التلاميذ:

خلف المؤلف العديد من التلاميذ الذين أكملوا مسيرته العلمية وجمعوا شتات فتاويه وتصدروا في حياته وبعد وفاته للإفتاء والقضاء، وحازوا السبق في فنون العلم والمعرفة، ومن أهمهم :

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر التتلائي التواتي (1151 - 1233هـ)⁴ : وهو ابنه ووريثه في العلم والمعرفة، تلقى مبادئ علومه على يد والده المؤلف، ثم انتقل إلى سجلماسة للدراسة على يد ابن هلال السجلماسي كان كثير النسخ للكتب، ابتلي في آخر عمره بفقد نعمة البصر إلا أنه كان مداوما على التدريس والإفتاء توفي في 29 صفر 1233هـ⁵ .

*الشيخ محمد بن محمد العالم الزجلوي (المتوفى 1212هـ/1797م):

1 - بلعالم، الغصن الداني ، ص57

2 - بلعالم، الغصن الداني، ص57.

3 - يوجد مخطوط مبتور الأول في خزانة الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف .

4 - المهداوي ، الدررة الفاخرة، ورقة 07.

5- المهداوي، الدررة الفاخرة، ورقة08، وأيضا: سيدي عمر، قطف الزهرات ،ص103،

من آل سيدي علي بن حنيني الأنصاري، الفقيه العلامة صاحب التصانيف، ولد بقصر زاجلو، توفي 23 شوال 1212 هـ¹.

***الشيخ الأديب محمد المبروك البوداوي (المتوفى ببودة 1196 هـ/1782 م):** دفين المنصور ببودة أخذ العلم عن الشيخ المؤلف وله الكثير من الأشعار أهمها قصيدته التي رثى بها شيخه المؤلف².

***القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري (المتوفى 1210 هـ/1795 م):** القاضي الفقيه النوازلي أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي بتتلان، وتولى القضاء بعد أبيه توفي 1210 هـ³.

***محمد بن عبد الرحمن البلبالي (المتوفى 1244 هـ/1828):**

وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بسيدي الحاج البلبالي، ولد بقصر ملوكة أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن التواتي وابنه محمد، فجمع الكثير من فتاويهما في كتابه المسمى غنية المقتصد، توفي يوم الاثنين 29 جمادى الثانية 1244 هـ/1828 م،

***عبد الله بن عبد الرحمن:** ابن المؤلف، توفي 1221 هـ/1806 م: كان فقيها، عالما، ناظما للشعر، توفي في طريقه إلى أولف مع السيد عمر بن عبد الرحمن المهداوي⁴.

***عمر بن عبد الرحمن الأصغر (1212-1152 هـ/1739-1797 م):**

وهو ابن المؤلف قال عنه المهداوي: " .كان عالماً، زاهداً، ورعاً، به المحامد والمكارم، ولد 1152 هـ/1739 م وتوفي 1212 هـ/1797 م⁵

***أبو عبد الله الفلاني (المتوفى 1194 هـ/1780 م)** ⁶ : وقدم من بلاد التكرور للدراسة على يد الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي وألف رحلة ذكر فيها بعض ما درس في زاوية تتلان .

* **محمد بن مالك الفلاني القبلي :** العالم الفقيه، النحوي، المقبل على العلم، وأصله من قبلي وانتقل إلى تتلان لغرض الدراسة على الشيخ عبد الرحمن بن عمر التواتي¹

1 - سيدي عمر، نفسه ، ص 123.

2 -جعفري، محمد بن أب، ص 38.

3- المهداوي، الدرّة الفاخرة ، ورقة 18.

4- تسوق الرويات المتواترة عن أهل تتلان أن جثمان الشيخ عبد الله بم عبد الرحمن التتلاي حافظ على ملامحه، كما حافظت الرمال على وصيته التي كتبها وهو يحتضر رغم طول المدة التي قضاها في العراق، وذلك ، حسبهم من كرامات هذا الشيخ الجليل

5 - المهداوي، الدرّة الفاخرة ، ورقة 18.

6- جعفري، محمد بن أب، ص 38.

06: الوفاة

وفي يوم الأحد 29 صفر 1189 هـ / 1775م عام "طفقش"²، بحساب الجمل توفي الشيخ عبد الرحمن التواتي بالقاهرة، ولم ترد في أي مصدر أسباب تلك الوفاة غير أننا نجد في رحلته ما يحيل إلى أنه لم يكن سليم البدن خلال الرحلة، فالمؤلف قد يكون تأثر بسقوطه من راحلته، في طريقه إلى فزان حيث قال في رحلته " ... من الراحلة وأنا ناعس على أرض صلبة ولولا لطف الله لكسر عظم من عظامي.... ولما وصلت منزل المبيت تعذر علي المشي"³، ويمكن أن يكون المؤلف قد تعرض لوعكة صحية حلت به في الفترة الممتدة من 12 إلى 29 صفر، وذلك بالنظر إلى الوصف الدقيق الذي وصف به القاهرة والطرف التي حدثت له فيها كانقطاعه عن الركب وتيهه في أزقة القاهرة .

دفن الشيخ في مقبرة أبي عبد الله المنوفي وصلى عليه جميع من في الركب إضافة إلى

ألوف من المصلين⁴

وقد رثاه تلميذه الأديب الشاعر محمد بن المبروك البوداوي بيانية رائعة النظم قال في مطلعها:

أَلْيَامِصْرُ قَدْ إِزْدَدَتْ فَخْرًا	بِحِرِّ حَلِّ مَقْبَرَةِ الْمُنُوفِي
بُعَيْدَ زِيَارَةِ الْهَادِي الْمَنَابَا	مِنْ جَحِّ الْبَيْتِ حَقًّا بِالْوُقُوفِ
تَضَلَّعَ فِي الْعُلُومِ وَكَانَ دَهْرًا	يُدْرِسُهَا الْقَرِيبَ مَعَ الضُّيُوفِ
وَيُقْصِدُ بِالنَّوَازِلِ كُلِّ يَوْمٍ	فِي كَشْفِ مَا عَلِيَّهَا مِنْ نَصِيفِ
وَيَصْدَعُ بِالْحَقِيقَةِ مَنْ أَبَاهَا	وَأَبْغَضَهَا عَلَى رَغْمِ الْأَنْوُوفِ

ثانيا/ التعريف بمخطوط الفهرسة:

يعتبر مخطوط فهرسة الشيخ عبد الرحمن التتلاي التواتي من أهم المصادر التاريخية التي سلطت الضوء على الحركة العلمية في توات وعلاقتها بالمجالات الجغرافية المجاورة كبلاد التكرور وحواضر المغرب الأقصى الزاهرة، ومن خلال العنوان الذي وسم به المؤلف

1 - المهداوي، الدرّة الفاخرة، ورقة 18.

2 - عام طفقش، هو عام: 1189هـ، بحساب الجمل: ط:1، ف:80، ق:100، ش:1000، والمجموع: 1189.

3 - التواتي، نفسه، ورقة 09.

4- المهداوي، الدرّة الفاخرة، ورقة 02.

مخطوطه يتضح جليا أن المؤلف ينتمي الى فن الفهرسة¹ الذي تبوء مكانة هامة إذ عكف الكثير من علماء القرن الثاني عشر الهجري على تأليف فهارس عرّفوا فيها بشيوخهم وما أخذوا عنهم من علوم وأجازات وبين هذا وذاك يتضمن معلومات هامة عن الحركة الثقافية والعلمية التي تواكب حركة هولاء العلماء ورحلاتهم في إطار سعيهم في تحصيل العلم.

وتقع النسخة المخطوط في 45 ورقة مقاسها (19x14 سم) ومسطرتها 31 سطرا في المتوسط، وعدد كلمات السطر 19 كلمة في المتوسط، وخطها مغربي رفيع ورائق، مكتوب بمداد أسود وتظهر بعض الكلمات في المتن بمداد أحمر وهي في معظمها إشارات لبداية الترجمة للشيوخ، حيث يشير إلى ذلك قائلا "ومنهم" أو بعض الإشارات إلى بدأ إجازة بكلمة "الحمد لله"، أو "أما بعد"، وغيرها، وتبدو الصفحات الأولى متأكلة الجوانب لكن تأكلها غير معضل.

وقد استهلها المؤلف بعبارة البسمة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم ثنى في السطر الثاني وبالمداد الأحمر بقوله: يقول راجي عفو مولاه الكريم عبد الرحمن بن عمر التواتي منشأ ومولدا الأموي أصلا ومحتدا، وختمت النسخة بما ذيلت به النسخة الأولى مع زيادة عبارة تدل على اسم الناسخ وهو محمد الوليد بن أبي بكر بن عبد القادر الذي كتبها لمحبه الفقيه البركة سيدي محمد عبد الله بن البركة سيدي محمد عبد الرحمن بن الحاج البركة، ويظهر بعد ذلك تاريخ الفراغ من نسخها وهو ضحى يوم السبت 19 رجب 1271هـ /1854م، أي بعد 82 سنة من وفاة المؤلف.

ثالثا/ صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغربي والسوداني من خلال الفهرسة:

يكتسي مخطوط فهرسة عبد الرحمن التواتي أهمية بالغة بين مخطوطات القطر التواتي إذ يصور بجلاء الحياة العلمية والثقافية في توات وعلاقتها بالحواضر العلمية المجاورة لها

¹ - الفهرسة بكسر الفاء، كما عرّفها صاحب القاموس هي الكتاب الذي تجمع فيه الكتب وهي كلمة فارسية معربة، والأصل فيها فهرست بالتاء المفتوحة وهو ما نجده عند ابن النديم الذي أسمى كتابه الفهرست. لكن المشهور لدى المغاربة استعمال لفظ فهرسة وهي من المصدر فهرس يفهرس: وقال الزركشي الفهرست معناه في اللغة جملة العدد، وقد استعمل لفظ فهرسة على الدلالة على نوع من المصنفات التي تضم ذكر مرويات وإجازات عالم أو التعريف بشيوخه وإن كان أهل المغرب، حسب الكتاني، انفردوا بتسمية الكتب التي يترجمون فيها لشيوخهم بالفهارس فإن هذا الفن عند أهل الأندلس يسمى البرنامج وعند أهل المشرق يسمى الثبوت ومعجم الشيوخ.

فالمخطوط بما حوى من مادة جزيلة هو بمثابة المفتاح لكثير من الغوامض التي تكتنف تاريخ منطقة توات، ويمكن استثمار مادتها في رصد خيوط تلك العلاقة العريقة التي ربطت على مدى قرون بين الحواضر الشمالية لبلاد المغرب وحواضر بلاد إفريقيا ما وراء الصحراء والتي كانت توات محورها وممرها الحتمي.

وتعطي الفهرسة صورة واضحة عن المراكز العلمية النشطة في توات والأقاليم المجاورة حيث أورد المؤلف الكثير من المعلومات حول الحركة العلمية في توات والمراكز العلمية النشطة في كلا من المجالين السوداني التكروري والمغربي، إضافة إلى الرصد الدقيق لحياة رموزها العلمية وطرق تدريسهم والتي كان المؤلف شاهدا عليها من خلال سعيه الدائم لإحتكاك بهم والأخذ عنهم واستجازتهم.

أ/ المراكز العلمية في توات وبلاد التكرور والمغرب الأقصى من خلال الفهرسة :

تعطينا رسدا شاملا لكافة المراكز العلمية النشطة من خلال تتبعها للحياة العلمية للشيوخ وكيفية سير الدروس وغير ذلك، وقد ركزت فهرسة التتلافي على أربعة مراكز علمية كانت نشطة خلال القرن 12هـ، اثنين منها داخل القطر التواتي هما الزاوية التتلانية والرقادية، وآخرين خارج القطر هما مدينتا أروان ببلاد السودان وسجلماصة بصحراء المغرب الأقصى .

أ/ 01 المراكز التواتية:

مركز تتلان : تتلان كما تصورها الفهرسة حاضرة علمية لها ثقل ديني وثقافي كبير في عموم البلاد التواتية، وقد عرف هذا المركز نشاطا كبيرا بعد عودة الشيخ عمر بن عبد القادر التتلافي من فاس¹، فأصبحت مقصدا للطلبة من جميع نواحي توات نتيجة المستوى العلمي الرفيع الذي بلغه الشيخ، كما قصدها العلماء للاستزادة من علم الشيخ وأخذ الإجازة منه، حيث

¹- التواتي، فهرسته ، ورقة 01.

حل بها الشيخ عبد الرحمن الجنتوري¹، كما حل بها الشيخ عمر الرقادي². والشيخ الأديب الجوال محمد بن أب المزمري³ الذي توقف بالزاوية وأخذ عن شيوخها وانعكس ذلك على الجو العلمي بالزاوية فكانت دروس هؤلاء العلماء تضيء جوا علميا متميزا عززته تلك المناقشات والمراجعات التي كانت تجمع بينهم ، مثل تلك التي كانت تجمع بين الشيخ عمر بن عبد القادر و الشيخ عبد الرحمن الجنتوري ، والتي استمرت بين الجنتوري وبين تلميذه المؤلف بعد وفاة الشيخ أبي حفص، ورغم أن المؤلف لم يفصح عن المواضيع التي دارت حولها النقاشات إلا أن ذلك يوحى بمدى الحيوية التي بلغها النشاط العلمي في الزاوية⁴.

مركز زاوية الرقاديين : المركز الثاني الذي رصدته الفهرسة، هو مركز الزاوية الرقادية الذي كان بحسب الصورة التي نقلتها الفهرسة مركزا علميا نشطا، بفضل شيخه عمر الرقادي والبرنامج الذي أعده للطلبة والمصنفات المتنوعة التي كان يدير بها دروسه ونلمس من خلال كلام المؤلف عن نشاط الزاوية، ما يحيل إلى أن الزاوية الرقادية فاقت زاوية تنلان في الحيوية العلمية⁵، وقد انسجم المؤلف مع الجو العلمي الذي عرفته الزاوية الرقادية حيث تعلق بشيخها وداوم على زيارتها، وجلس للتدريس في مجلس شيخها حيث قدم دروسا في مختصر القلصادي في الحساب وبعض المصنفات الأخرى.

أ/02 المراكز التكرورية :

مركز أروان : ترسم لنا الفهرسة جانبا من جوانب الحياة العلمية التي كانت تشهدها مدينة أروان التي تعد ثاني أكبر الحواضر العلمية في بلاد التكرور بعد حاضرة تنبكتو، فقد استقر بها الكثير من العلماء الذين أضفوا على المدينة نشاطا علميا ميزه تصدرهم لحلقات الدرس التي استقطبت الكثير من طلبة العلم، وقد تضمنت فهرسة التواتي معلومات هامة عن سير التعليم في أروان من خلال ترجمتها للشيوخ الذين التقى بهم فيها وأخذ عنهم وأجازوه وبرغم

1 - التتلاني، فهرسته، ورقة03

2 - نفسه ، ورقة15

3 - نفسه ، ورقة17.

4 - نفسه، ورقة14.

5 - نفسه، ورقة16-17.

أن المؤلف لم يذكر من الأسباب التي كانت وراء رحلته إلى أروان , سوى أنه كان مرافقا لشيخه عمر الرقادي¹، إلا أن الأکید أن الغرض منها كان الاتصال بعلماء بلاد التكرور للاستزادة من علمهم واستجازتهم، وما يبين أن الغرض من الرحلة كان علميا هو أن الشيخ الرقادي أرشد المؤلف إلى إكمال دراسة الخزرجية على الشيخ أحمد بن صالح السوقي، بعد أن كان ابتدأها على الشيخ محمد بن أب المزمري²، وقد شكل هذا الاحتكاك بين المؤلف وشيخه السوقي مساحة مكنت المؤلف من أن يصور بوضوح مدى التقدم العلمي الكبير الذي كان يعرفه التعليم في أروان، وذلك إنطلاقا من وصفه درس الشيخ السوقي الذي كان يستغرق كامل يومه ويدار بلغات مختلفة منها العربية والتارقية والتكرورية وهذا يشير إلى أن الوافدين على مجالس أروان العلمية كانوا من مختلف الأجناس³.

كما تزخر تراجم العلماء التكروريين الذين ترجم لهم المؤلف، بصور النشاط العلمي مثل النشاط الذي عرفته مجالس الشيخ طالب بن الوافي طالبين الذي قال عنه أنه كان يقصد بالنوازل من أقاصي بلاد التكرور⁴، وهذا ما يعطي صورة عن مدى الحركية العلمية التي عرفها مركز أروان العلمي .

وتبقى الإشارة إلى أن أسانيد الإجازات العلمية التي أوردها المؤلف ضمن الإجازات التي نالها من طرف شيوخه التكروريين، هي حديث غير مباشر عن نشاط الحياة العلمية من خلال إدراج بعض الأسماء العلمية التي نشطت في التدريس و التأليف كانت مزدهرة بفضل إقبال العلماء التكروريين على دراسة مصنفات الفقه المالكي والحديث والعربية وتلقيها للطلبة، كما يبدو من خلال تتبع مسار جميع الأسانيد أنها تبدأ من علماء التكرور ثم علماء المغرب ثم المشرق وهذا ما يفيد أن المراكز العلمية في بلاد التكرور كانت على علاقة وطيدة بالمراكز العلمية في بلاد المغرب .

أ/03 المراكز المغربية:

-
- 1 - نفسه، ورقة19.
 - 2- نفسه، ورقة19.
 - 3- نفسه، ورقة20.
 - 4- التتلاني، فهرسته ورقة23.

مركز سجلماسة: تعد سجلماسة من أهم الحواضر العلمية في صحراء المغرب التي عرفت نشاطا كبيرا في القرن 12 هـ / 18م وقد كان لطريق الحج الذي يربط سجلماسة بتوات الأثر البالغ في ارتباط القطرين علميا وثقافيا، فكان ركب الحاج السجلماسي يمر بتوات متخذا قصورها مراكز استراحة واستزادة من المؤن، وعادة ما يحمل الركب علماء كانوا يجلسون للتدريس في محطات الاستراحة فكان طلبة توات يتسابقون لحضور مثل هذه المجالس للاستفادة مما يلقي فيها من دروس، وهذا ما قد كان يحرك رغبة الطلبة إلى إعمال الرحلة إلى سجلماسة والحواضر القريبة منها للأخذ عن علمائها، وتعطي فهرسة التواتي صورة واضحة عن هذا التواصل العلمي بين توات وحاضرة سجلماسة وأحوازها إذ كان المؤلف من ضمن الطلبة الذين كانوا على احتكاك بعلمائها سواء بترصدهم أثناء عبورهم المجال التواتي في طريقهم للحج وهو ما حصل له مع الشيخ محمد بن عبد الله الدرعي الذي أجازته في العديد من المصنفات، أو بإعمال الرحلة إليهم كما فعل مع الشيخين صالح بن محمد اللمطي السجلماسي والشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي فأخذ عن الأول علم القراءات على رواية ورش وقالون بينما حضر دروس الثاني وتصيد منها فوائد جلية صورت مدى الانتعاش العلمي الذي كانت تعرفه حاضرة سجلماسة في تلك الفترة¹.

ب / أقطاب الحركة العلمية في توات وبلاد المغرب والسودان من خلال الفهرسة:

إن المتمعن في مادة تراجم الفهرسة يلحظ أن المؤلف اعتمد في ترتيب مادة فهرسته على ذكر الشيوخ حسب توزيعهم المكاني فوزعهم على ثلاث فئات فابتدأ من الشيوخ الذين تلقى على أيديهم مبادئ العلوم في مراحل تعليمه الأولى، ثم انتقل إلى شيوخه من بلاد التكرور وبلاد المغرب الأقصى الذين ارتحل إليهم قاصدا الاستزادة من العلوم والإجازة

أ- الفئة الأولى : التواتيون :

- أبو حفص عمر بن عبد القادر التتلائي (1098- 1152هـ/1687- 1739م): و كان أول شيوخ المؤلف إذ أخذ عليه مبادئ العلوم بزاويته بتتلان وذكر نُتقًا من أهم محطات حياته العلمية والعلماء الذين أخذ عنهم في فاس التي رحل إليها لطلب العلم ومكث فيها زهاء اثنتي عشرة سنة قضاها في طلب العلم والتعليم، وأورد المؤلف جملة من العلماء المغاربة الذين تلقى

1 - التتلائي، فهرسته ، ورقة 38.

عليهم صنوف العلوم، ذكر من جملتهم علماء حازوا شهرة كبيرة في عصرهم أمثال أبي عبد الله المسناوي والحسن بن رحال ومحمد السالم التواتي وهو من علماء توات استقر مدرسا في فاس، وأبو الحسن الحريشي ومحمد عبد السلام بناني وغيرهم من رواد الحركة العلمية بالمغرب خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م)، كما تعرض إلى نشاطه العلمي بفاس وتصدره للتدريس في جامع القرويين والمدرسة المصباحية، ثم تحدث عن عودته إلى بلده تتلان سنة (1126هـ/1714م) وتصدره للتدريس وصوّر المؤلف حالة الجهل بعلوم الدين التي كانت مستشرية في المجتمع التواتي، قبل وصول الشيخ واثر مجهوداته في القضاء عليها¹.
و أسهب المؤلف في الحديث عن منهج الشيخ أبي حفص في التدريس فعرض إلى المصنفات التي كان يعتمدها في تدريسه الطلبة وهي في معظمها كتب تتوزع بين علم الفقه على مذهب المالكية وعلوم اللغة، وعلوم الحديث، فمن المؤلفات الفقهية التي اعتمدها رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل والمرشد المعين لابن عاشر وجمع الجوامع لابن السبكي، وغيرها من المصنفات الفقهية، أما علوم اللغة فقد اقتصر الشيخ في تدريسه على مصنفين لابن مالك هما اللامية والألفية. ثم تحدث عن توليته القضاء وحسن سيرته فيه. ثم عرض في الأخير إلى ذكر بعض مؤلفاته بعد أن يضبط تاريخ وفاته².

الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم التطافي ثم الجنتوري المتوفى (1160هـ / 1747م):
وعائلته أصيلة بلد تطاف من بلاد توات أنتقل والده الشيخ إبراهيم إلى ابن صالح واستقرا أخيرا بجنتور بنوحي تيميمون افتتح المؤلف الترجمة بذكر نسبه وبعض صفاته ثم تعرض إلى حياته التعليمية وبعض المصنفات التي درسها، ليتحدث بعدها عن لقاء الشيخ الجنتوري بالمؤلف عند مقدمه إلى الزاوية التتلانية لغرض الدراسة على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر. وكان الجنتوري في فترة مكثه في تتلان يقدم دروسا في مبادئ الفقه المالكي لصبيان الزاوية، فنشأت إذ ذاك علاقة حميمة بين الجنتوري والمؤلف ترجمتها حالة الحزن التي خلفها في نفس المؤلف بعد رحيله من تتلان ورغبة المؤلف في السفر إليه والأخذ عنه، وهو ما تم بالفعل، حيث أذن للمؤلف بالسفر إلى جنتور للدراسة على يد الشيخ الجنتوري، فمكث عنده أربعة أشهر قضاها في دراسة بعض المصنفات كمختصر خليل

1 - التتلاني، فهرسته، ورقة 02.

2- نفسه، ورقة 03.

ومختصر القلصادي في الحساب ليعود إلى تنلان ويمكن خمسة أشهر عاد بعدها إلى جنتور ليكمل ما قد كان بدأه في الرحلة السابقة¹.

وبعد أن ينصرف المؤلف إلى الحديث عن الإجازات التي نالها من لدن شيخه الجنتوري، ثم يحيل القارى ذكر بعض المعلومات حول مكانة الشيخ ومستواه العلمي الذي أهله أن يتصدر الفتوى والتدريس بعد وفاة الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر²، كما أورد منهجه في الرد على المسائل التي ترد إليه التي كان يجيب عليها بديهية، سيما تلك التي كانت ترد إليه من شيخه عمر بن عبد القادر، أو التي كانت ترد إليه من المؤلف، فكان يطيل النقاش في المسائل الفقهية ويحشد لذلك الأدلة من المعقول والمنقول إلى حد إقناع المراجع برأيه³.

ولقد أورد المؤلف، بعض آراء الجنتوري في أحكام قضاة توات، حيث اتهمهم بالجور والجهل وكان ينكر عليهم بعض ما يتعلق ببعض الأحكام مثل قبولهم لشهادة الشاهد مكتوبة ولو كان حيا حاضرا، وحكمهم بيع عقار المدين قبل الإعذار إليه، وحكمهم على الغائب واليتيم من غير تسمية الشهود، وغيرها من القضايا التي كان يعارضهم فيها حرصًا منه على نصره المظلوم⁴.

ويحتمل التواتي أن سبب وفاة الجنتوري كانت دسياسة من بعض هؤلاء القضاة أو ممن يتعصب لهم، نتيجة لمعارضته لأحكامهم التي اعتبرها أحكاما جائرة وبعيدة عن الشرع ليحدد تاريخ وفاته بـ23 جمادى الأولى 1160هـ / 1747م .

الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي المتوفى (1157هـ/1744م): الذي وصفه بأنه كان آية في علم اللغة، فصيح اللسان، التقاه بزواوية تنلان فنشأت بينهما علاقة حميمة أفضت إلى طلب المؤلف من شيخه أبي حفص الإذن بالرحيل إلى الزاوية الرقادية للأخذ عن الشيخ الرقادي، وقدم المؤلف صورة واضحة حول كيفية سير الدروس بالزاوية الرقادية فتعرض إلى طرق التدريس والمصنفات التي كان يعكف الرقادي على تدريسها للطلبة، ولم يخف المؤلف إعجابه بالطريقة التي كان يدير بها الشيخ دروسه وبمستواه العلمي الكبير وحسن

1- التتلاني، فهرسته ، ورقة 02.

2 - نفسه ، ورقة 14.

3 - نفسه، ورقة 14.

4- نفسه ، ورقة 14.

تعامله مع الطلبة، حيث نجد أن المؤلف يداوم التردد على الزاوية الرقادية لحضور حلقات درسه ومشاركته في التدريس¹ .

وأورد المؤلف بعض النبذ من تفاصيل الرحلة التي صاحب فيها شيخه الرقادي إلى بلاد السودان حيث زارا قرى تودن وأروان والمبروك، واستفاض في ذكر الحوادث التي اعترضته في تلك الرحلة ليتعرض بعدها لوفاته في طريق الحج بقرية زلة الليبية في 23 ربيع الثاني سنة (1157هـ/1757م)، وذيل الترجمة بذكر بعض صفاته وأخلاقه والشيخوخ الذين تتلمذ على أيديهم كالشيخ محمد الصالح بن المقداد والشيخ محمد بن أب المزمري والشيخ محمد بن عبد المؤمن والشيخ أحمد بن حماد².

- **الشيخ محمد بن أب المزمري التواتي المتوفى (1160هـ / 1747م):** التقى به المؤلف في الزاوية التتالنية أثناء مروره بها متوجها إلى تيجورارين، فدرس عليه بعض المصنفات اللغوية كالخزرجية في علم العروض³ ثم إن المؤلف التقى بالشيخ ابن أب مرة أخرى في مقر سكناه في الزاوية الرقادية أثناء زيارته للشيخ عمر الرقادي، فحضر دروسه في علوم اللغة والنحو والتفسير، ولقد أعجب المؤلف أشد الإعجاب بالمستوى العلمي الراقي الذي بلغه الشيخ بن أب ، فانصرف لرواية مساره العلمي الحافل فعرض إلى ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم كالشيخ محمد الصالح بن المقداد والشيخ سيد أحمد التوجي وغيرهم⁴ .

وختم المؤلف ترجمة شيخه بعرض مصنفاته ونص الإجازة التي أجازها بها، و تاريخ وفاته التي حددها بيوم الاثنين 10 جمادى الآخرة 1160هـ/1747م. وذيل الترجمة لجملة من الفوائد التي مثلت بعض آراء الشيخ في مسائل لغوية⁵ .

- **الشيخ المقرئ عبد الرحيم التواتي التياموي التامرتي:** ويبدو أن أصله كما هو واضح من بني تامرت وهي إحدى قصور تيمي بتوات، وقد أدرجه المؤلف ضمن شيوخه التكروريين مخلا نوعا ما بالترتيب المنتهج ، فجاء على سرد جوانب هامة من حياته العلمية، كرحلته إلى فاس التي مكث فيها سنين عديدة يأخذ من علمائها، حيث أخذ القرآن الكريم و القراءات على

1- التتالني، فهرسته ، ورقة 16.

2- نفسه ، ورقة 17.

3- نفسه، ورقة 17.

4 - نفسه، ورقة 18.

5 - التتالني، فهرسته ، ورقة 19.

يد الشيخ بن مقلب وغيره من علماء المغرب¹، وبعد مكثه الطويل في فاس ارتحل حاجا إلى البيت الحرام فالتقى في القاهرة بالمقريء الشيخ أحمد البكري الذي أخذ عنه الشاطبية في التجويد، ثم عاد إلى فاس وأقام بها مدة يسيرة ليعود إلى بلده وفيها التقى به المؤلف فحضر حلقات درسه وأخذ عنه بعض مصنفات علم التجويد كمنظومة الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع².

الفئة الثانية : التكروريون :

وينتقل المؤلف بنا إلى بيئة علمية أخرى لها علاقة وطيدة بالإقليم التواتي هي بلاد التكرور التي كانت من بين أهم المحطات العلمية التي زارها خلال فترة دراسته، حيث احتك بعلمائها وأخذ عنهم شتى صنوف العلوم، فأورد في فهرسته الترجمة لأربعة شيوخ إلتقى بهم وأخذ عنهم وأجازوه .

الشيخ الفقيه أحمد بن الصالح السوقي : الذي التقى به في أروان خلال رحلته إلى بلاد التكرور مع شيخه عمر الرقادي فأخذ عليه الخزرجية التي كان ابتداء دراستها على الشيخ محمد بن أب المزمري، ووصف المؤلف جوانب هامة من حياة شيخه أحمد السوقي وبرنامجه اليومي في التدريس حيث كان يستغرق النهار في الدرس ولا يستريح إلا سويعة عند القيلولة ليستأنف بعدها التدريس. والظاهر أن المؤلف استحسّن طريقة الشيخ في الإقراء؛ حيث قال أنه استفاد منه أكثر مما استفاد من شيخه الأديب محمد بن أب في دراسة الخزرجية. ثم عرض المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن كريم أخلاقه وحسن تعامله مع طلبته وعامة أهل البوادي وصبره على جفائهم، وبين ذلك ببعض الشواهد، لينصرف بعدها إلى سرد الإجازة التي أجازها بها الشيخ السوقي³.

-الشيخ طالب بن الوافي بن طالب المتوفى(1180هـ/1766م): و لقيه أثناء رحلته إلى أروان وجالسه وأخذ على يده الإجازة، غير أن المؤلف لم يستفص في الترجمة للشيخ، بل اقتصر على بعض أوصافه وملامح نبوغه العلمي⁴.

1 - نفسه، ورقة 24.

2 - نفسه، ورقة 24 .

3- التتلائي، فهرسته، ورقة 20.

4- نفسه ورقة 23.

- أبو العباس أحمد بن الأمين الغلاوي المتوفى (1157هـ / 1744م): دفين أئساوة، من بلاد فزان، الذي وصفه بسعة العلم والتواضع وحسن الخلق، وعظم الصيت وكثرة الطلاب، ولقد التقى به المؤلف في رحلته إلى أروان لكنه لم يأخذ عنه شيئا لأنه وجده عازما على السفر¹، ثم لقيه بعد ذلك في قرية أقبلي لما كان في طريقه إلى الحج، فجالسه وأخذ عنه الإجازة. وربما كانت الفترة الوجيزة التي قضاها المؤلف مع الغلاوي وظرف اللقاء السبب في اقتضاب الترجمة، فحرمنا ذلك من التعرف على جوانب هامة من حياة الشيخ المترجم له²، لاسيما حياته العلمية وطريقة تدريسه وبعض مصنفاته³.

الفئة الثالثة : المغاربة :

كان المغرب الأقصى من أكثر الأقطار تأثيرا في الحياة العلمية بتواتر وكان مؤمّل كل طلبة توات السفر إلى إحدى حواضره والنهل من معين علمائها، فكانت فاس ومراكش وسجلماسة تستقطب الكثير من طالبي الاستزادة من العلوم القادمين من توات، وقد ترجم المؤلف لأربعة علماء مغاربة منهم من ارتحل إليه ومنهم من التقى به في توات.

الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي الاكتاوي (1111 - 1163 هـ / 1699-1750م)
التقى به في طريق عودته من الحج بقرية زاجلو، في بلاد توات، فحضر تدريسه لبعض المصنفات " كالشفاء في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض " وورقات إمام الحرمين للجويني " و"صحيح البخاري ومسلم" و"الشمائل للترمذي" و"متون" البردة والهمزية لشرف الدين البوصيري"⁴. وبعد أن أورد أجازته المطولة التي أجاز به انصرف المؤلف إلى ذكر بعض المحطات من الحياة العلمية للشيخ كرحلته إلى سجلماسة ودراسته على يد الشيخ مولاي عبد الرحمن الإمام، وإلى مراكش للدراسة على يد عبد الله تكدمت، تلميذ اليوسي، ورحلته إلى تنبكتو ثم إلى فاس التي التقى فيها بعض العلماء منهم أحمد بن مبارك الفلالي ثم رحلته إلى الحج ومجاورته الحرمين وختم الترجمة بذكر بعض مصنفاته⁵.

1 - نفسه، ورقة 24.

2 - نفسه، ورقة 24.

3 - نفسه، ورقة 25

4 - التلاني، فهرسته، ورقة 25.

5 - نفسه، ورقة 35.

- المقرئ محمد المكي بن الصالح السجلماسي: وهو ابن أخ الإمام أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي التقى به في تيمي التي قدم إليها مع ابن عمه أبي القاسم، فأخذ عليه علم التجويد بالقراءات السبع¹.

- الشيخ صالح بن محمد الغماري: وهو والد الشيخ محمد المكي صاحب الترجمة السابقة، وشقيق العالم الجليل أحمد الحبيب السجلماسي، وصفه المؤلف بأنه شيخ القراء ببلاد المغرب حيث نبه أنه لا يوجد بالمغرب من هو أحسن منه تجويداً للقرآن بالقراءات²، منشغلاً بتبويض مؤلفات أخيه أحمد الحبيب التي منها مؤلف في علوم التجويد. ارتحل إليه المؤلف من توات إلى سجلماسة في 19 جمادى الأولى (1168هـ/1754م) في رحلة دامت قرابة العشرين يوماً وخلال المدة القصيرة التي أقامها عنده، عرض عليه ختمة القرآن الكريم برواية قالون حيث نبهه إلى بعض أحكام التجويد وأجازه في ذلك³.

- الشيخ الفقيه أحمد بن عبدالعزيز الهلالي السجلماسي: التقاه المؤلف في أثناء رحلته إلى سجلماسة، وصفه بالعالم المتفنن في كل العلوم كالتفسير والفقه والحديث والنحو والمنطق، ثم انتقل إلى الحديث عن مساره التعليمي، حيث أورد أنه أخذ العلم عن شيوخ سجلماسة كمولاي عبد الرحمن الإمام والشيخ أمحمد بن أبي القاسم، ثم رحل إلى درعة وأخذ عن الشيخ أحمد بن يوسف ثم إلى فاس ودرس على يد علمائها كمحمد بن عبد السلام بناني، وأحمد بن المبارك اللمطي ومحمد بن رخاء، ثم عاد إلى سجلماسة فأخذ عن الشيخ أحمد الحبيب السجلماسي.

وفي سنة (1050هـ/1640م) رحل الهلالي إلى الحج فلقى جملة من علماء المشرق، ثم عاد واستوطن مدغرة وتصدر فيها التدريس والإفتاء⁴، وبعد هذه النبذة عن حياته العلمية انتقل المؤلف إلى الحديث عن إنتاج شيوخه العلمي حيث عدد الكثير من مؤلفاته.

وقد مكث المؤلف عند شيخه الهلالي قرابة ست وعشرين يوماً، قضاها في مجلس درسه مكنته من أن يرصد لنا الكثير من المعلومات حول طريقته في التدريس، حيث كان الشيخ يزاوله من حل النافلة إلى الزوال ومن صلاة الظهر إلى العشاء وكذا الكتب التي كان يدرسها

1 - نفسه، ورقة 35.

2 - نفسه، ورقة 35.

3 - نفسه، ورقة 36.

4 - التلاني، فهرسته، ورقة 37.

للطلبة كمختصر خليل وألفية بن مالك والمرشد المعين لابن عاشر وخطبة القاموس وجامع الجوامع وغيرها من المصنفات¹.

ج الإجازات العلمية : من أهم الروافد التي تحيلنا الى مدى عمق العلاقة العلمية بين اقليم توات وبلاد المغرب الأقصى والسودان هي الاجازات العلمية المتبادلة بين علماء شتى هذه الاقطار وتذخر فهرسة عبد الرحمن التتلائي بمثل هذه الأجازات التي جمعها المؤلف من خلال احتكاكه بالعلماء المغاربة والسودانيين مرتحلا اليهم حيناً ومترصاً إياهم أثناء عبورهم المجال التواتي في طريقهم الى الحج أحيانا أخرى وقد شكلت مادة الاجازات نموذجاً عن مدى التواصل العلمي بين توات والإقليمين المذكورين حيث حاز المؤلف العديد من الاجازات خلال رحلاته العمية التي قادته الى سجلماسة وأروان هذا اضافة الى تلك التي أجاز به شيوخه المحليين

01 - إجازتا الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري:

أجاز الجنتوري المؤلف مرتين، الأولى سنة (1150هـ/1737م) لما قدم الشيخ إلى تتلان متوجها إلى الحج وقد ابتدأها بمقدمة حمد الله فيها وأثنى عليه، ثم عرج على ذكر فضل حملة العلم على بقية البشر ثم عرض إلى أهمية السند في حفظ العلم وضرورة الإمام به وتحصيله، ثم انتقل إلى ذكر سبب هذه الإجازة وقال أنها كانت بطلب من الأديب الفقيه الأنبل عبد الرحمن بن عمر التواتي، وأبدى الجنتوري تواضع كبيراً عند منح الإجازة للمؤلف حيث صرح أنه ليس أهلاً لأن يجاز فضلاً أن يجيز ثم صرح بعدها بأنه أجاز للمؤلف إجازة مطلقة في كل ما أخذه عنه من مقروءاته ومسموعاته من تفسير وحديث وأصول فقه وفرائض ونحو وتصريف وبيان ومنطق وكلام وحساب²، ثم ذكر سلسلته في الفقه شيخاً عن شيخ إلى الإمام مالك بن أنس وختمها بعبارة "وكتب عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن خديم الحسن الشريف، كان الله له ولياً ونصيراً"³.

أما الإجازة الثانية، فكانت بعد رجوع الجنتوري من الحج حيث طلب المؤلف من الشيخ أن يجيزه فيما أخذ عن العلماء الذين لقيهم في حجته⁴ وكتب المؤلف نص استجازة

1- نفسه، ورقة 38.

2 - التتلائي، فهرسته، ورقة 02.

3 - نفسه، ورقة 06.

4 - نفسه، ورقة 06.

طلب فيها من شيخه أن يجيزه في جميع المصنفات التي أخذها عن مشايخه، خصوصاً الفقهية منها، وضمنها جميع الكتب المروية بأسانيداً من الشيخ إلى غاية المؤلف¹، وفي الأخير ذيلها بطلب الإجازة من الشيخ².

ابتدأ الجنتوري إجازته بالحمدلة ثم التصريح بأنه أجاز للمؤلف أن يروي عنه جميع مروياته ضمنها الكثير من النصائح والتوجيهات التي يجب أن يتحلى بها الفقيه، ونلمس من كلام الجنتوري حرصه أن لا يقع تلميذه المجاز في المطبات التي وقع فيها فقهاء العصر من ترك للأصول والاهتمام بالفروع واختصارها، والإجازة عموماً مليئة بالفوائد والتوجيهات للفقهاء وختمها بالصلاة على سيدنا محمد سيد المرسلين ثم عبارة الختام "وكتب المتيم المليم عبد الرحمن بن إبراهيم خديم الحسن الشريف"³.

ب - إجازة الأديب محمد بن أب المزمري:

أجاز الشيخ الأديب محمد بن أب المزمري تلميذه المؤلف بعد الاستجازة التي رفعها الأخير إلى شيخه في المصنفات التي درسها عليه، وحسب ماورد في نص الاستجازة أن الإجازة كانت في أواسط شوال عام (1151هـ / 1738م)، بالزاوية الرقادية، مقر سكنى الشيخ، وما يلاحظ على الإجازة أنها مقتضبة جداً إذ ابتدأها بالحمدلة فالتصريح بالإجازة للمؤلف والدعاء له ثم الإقرار بالإجازة في جميع ماطلب المجاز، ثم ختمها بالتوقيع باسمه⁴.

ج- إجازة الشيخ أحمد بن الصالح السوقي:

وهي من الإجازات التي تلقاها المؤلف أثناء رحلته لبلاد التكرور بمعية شيخه عمر الرقادي وتوّجت فترة دراسية عكف فيها المؤلف على الدراسة عند الشيخ، حيث شغلت قرابة الورقتين ونصف من مادة المخطوط فبعد أسطر الإفتتاح طفق المجيز في تعداد خصال المجاز فوصفه بحسن الخلق والأدب والصلاح، ثم بدأ في ذكر المصنفات التي أجازها فيها بأسانيداً منه إلى غاية مؤلف الكتاب، فأجازها بصحيح البخاري وكتاب الشفا بتعريف حقوق

1 - نفسه ، ورقة 06-12.

2 - نفسه، ورقة 12.

3 - نفسه، ورقة 14

4 - التلاني ، فهرسته ، ورقة 19.

المصطفى كما أجازته بالعديد من المصنفات في علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة، ثم ختمها بالدعاء للمؤلف¹.

د: إجازة الشيخ طالب بن الوافي بن طالبين :

وتقع في حدود الورقة والنصف ابتدأها الشيخ بالحمدلة والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه، ثم صرح بأنه أجاز لأخيه عبد الرحمن التواتي بأن يروي عنه جميع مسموعاته ومروياته بشرط الوقوف على ما أشكل والمراجعة لما أعضل، وأوصاه بتقوى الله والمراقبة، ثم شرع في ذكر المصنفات التي أجازها بها بأسانيد كصحيح البخاري ومسلم وشفاء عياض وموطأ الإمام مالك والخصائص والمعجزات للسيوطي، وختم الإجازة بتكرير اسمه والدعاء للمجاز².

هـ: إجازة الشيخ عبد الرحيم التواتي:

وهي إجازة أشار إليها المؤلف ضمن ترجمته للشيخ، ولم يورد نصاً لها حيث اكتفى بذكر أنه أجازها في قراءة الإمام نافع³.

و- إجازة الشيخ أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي:

وكان الغرض منها رغبة المؤلف في تقصير السند، ذلك أن هذا الشيخ سبق وأن أجاز عبد الرحمن الجنتوري، شيخ المؤلف، لذا فإن نصها جاء قصيراً فبعد بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد صرح الشيخ بأنه أجاز للمؤلف في كل ما أجاز به الشيخ الجنتوري وأنهى الإجازة بتكرير اسمه⁴.

ذ- إجازة محمد بن علي بن إبراهيم الدرعي:

وجاءت هذه الإجازة بعد استجازة رفعها المؤلف إلى شيخه ذكر فيها العديد من المصنفات التي رواها⁵، فبعد الحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أورد أنه أجاز لأخيه

1 - نفسه ، ورقة 20.

2 - نفسه، ورقة 22- 23.

3 - نفسه ، ورقة 24.

4 - التتلافي، فهرسته ، ورقة 25

5 - يقع نص الاستجازة في ما يقرب سبع ورقات ، عرض فيها المؤلف كل مرويات الشيخ عن شيوخه

المحب الفقيه عبد الرحمن بن عمر التواتي أن يروي عنه جميع مروياته ومسموعاته إجازة تامة مطلقة بعد أن قرأ عليه أوائل بعض المصنفات المذكورة في نص الاستجارة وأوصاه في الأخير بتقوى الله واتباع سنة نبيه الكريم والاجتهاد في تعلم العلم وتعليمه، كما طلب منه إشراكه ووالديه وأشياخه في الدعاء، وختم الإجازة بالدعاء للمجاز، وذيلها بكتابة اسمه وأرخ للإجازة بيوم الخميس الأول من شهر رمضان عام سبع وأربعين ومائة وألف (1147 هـ/1734م)¹.

ح- إجازة الشيخ صالح بن محمد الغماري :

بعد أن أتم المؤلف ختم القرآن الكريم تلاوة بروايتي ورش وقالون أثناء رحلته إلى سجلماسة، طلب من شيخه صالح الغماري أن يجيزه بكل ما أجاز به شقيقه العالم أحمد الحبيب، ولايورد المؤلف نص الإجازة لكنه يورد أسانيد المصنفات التي رواها الشيخ صالح عن أخيه كصحيح البخاري ومسلم وشفاء القاضي عياض وغيرها².

ط- إجازة الشيخ أحمد بن هلال السجلماسي:

وهي إجازة جاءت بعد مراسلات عديدة بين المؤلف والشيخ يحتمل أن تكون قبل لقائهما ، حيث طلب المؤلف من الشيخ الإجازة فأجازها الشيخ إجازة بشكل بيت شعري قال فيه:

أَجَزْتُ لَكُمْ مَرْوِيَّتَنَا مُطْلَقًا وَمَا لَنَا سَائِلًا أَنْ تُتَّحَفُوا بِدُعَاءِ³.

على أن تعاد بصيغة النثر عندما يقوم المؤلف بنسخ الأسانيد . ولما ارتحل المؤلف إلى سجلماسة وحضر مجلس الشيخ ونسخ أسانيد بعض المصنفات، في كراسين طلب منه الإجازة على أن يشرك معه ابنه محمدا، وقد أورد الشيخ الحاج محمد باي بلعالم في كتابه الغصن الداني بعض المقتطفات من نص الإجازة التي أجاز بها الشيخ أحمد بن هلال تلميذه المؤلف والتي أجاز بها له ولابنه محمد رواية جميع ما صح له روايته من مصنفات وتآليف وقد بلغ عدد صحائف الإجازة 33 ورقة ختمها بالدعاء للمُجازين، وذيلها بكتابة اسمه في الأخير⁴.

ينظر (التواتي ، نفسه ، 26-34) .

1 - نفسه ص34.

2 - نفسه ،ص36-37.

3- نفسه ،ص38.

4 - بلعالم ، الغصن الداني ، ص39-40

ج/ طرق التدريس في الاقطار الثلاث من خلال الفهرسة :

في سياق اهتمامها برصد الحياة العلمية لشيوخ مؤلفها لم تخل الفهرسة من إشارات بالغة الأهمية لطرق التدريس المنتهجة من طرف الشيوخ المترجم لهم، وإن كانت هذه الإشارات عادة ما تأتي عرضاً أو استطراداً إلا أن المؤلف حصر منها كمّاً معلوماتياً يمكن التأسيس به لبحث في طرق التدريس في البلاد التواتية والفضاءات العلمية المجاورة لها وتشير مادة الفهرسة أن التدريس في توات كان يتم عن طريق الحلقات العلمية التي يكون الشيخ مركزاً لها، وعادة ما ينقسم الطلبة، حسب فئاتهم العمرية فيتجه الأحداث منهم إلى الانكباب على حفظ القرآن الكريم والمتون الفقهية المعدة للتدريس في هذه المرحلة كمتن ابن عاشر مثلاً وفرائض الوضوء وغيرها من المبادئ¹. بينما يتجه أصحاب الفئات العمرية الأخرى من الذين اجتازوا المرحلة السابقة إلى دراسة الفقه والحديث وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والعروض وغيرها.

وكان التدريس ضمن هذه الحلقات غاية في الكثافة، إذ يستغرق كامل اليوم وإن كان ذلك يختلف حسب حيوية الشيخ ونشاطه، ففي حين أن دروس الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر كانت - حسب ما ورد في ترجمته - بما فيها من فوائد قليلة متقطعة بفعل مزاج الشيخ²، كانت حلقات الشيخ عمر الرقادي في الزاوية الرقادية³ والشيخ أحمد بن صالح السوقي بأروان غاية في النشاط والحيوية حيث أثارت إعجاب واهتمام المؤلف فأفرد لها بوصف دقيق، فدرس أحمد بن صالح السوقي كان يبدأ من الصباح إلى الزوال و من صلاة الظهر إلى العصر ومنها إلى العشاء⁴، وينسحب الأمر على حلقة الشيخ عمر الرقادي بالزاوية الرقادية التي عرفت

1 - تقوم طريقة التحفيظ عن طريق اللوحة التي تصدّر بالبسملة والصلاة على سيدنا محمد واله وصحبه، ثم يكتب فيها في المراحل الأولى الحروف الألف بائية، أ ب ت ث، ثم ينتقل الطالب بعدها إلى السور القرآنية فيبدأ من الفاتحة وينتهي إلى البقرة وتحلى اللوحة بأبيات من بعض المتون ويسمى ختم القرآن عند أهل توات "السلكة"، ثم يرجع منها إلى الفاتحة وهكذا دواليك إلى أن يستظهر القرآن كله حفظاً على شيوخه. ينظر: البلبالي، غنية المقتصد، ورقة 01.

2- التواتي، فهرسته، ورقة 03.

3 - نفسه، ورقة 15-16.

4 - التواتي، فهرسته، ورقة 19.

ذات النشاط والبرنامج، كما كانت حلقة الشيخ أحمد بن هلال السجلماسي" تمتد من حل النافلة إلى العشاء"¹.

وكانت طريقة الإسماع هي الطريقة المتبعة في كل الحلقات التعليمية التي رصدتها الفهرسة حيث يجلس الشيخ ليستمع جزءاً من المصنف موضوع الدرس، من أحد المنتجيين من طلبته ثم يقوم الشيخ بشرحه اعتماداً على مصنفات الشروح التي شرحت المصنف، وقد تتخلل هذه الشروح انتقادات ومقارنات تضي على الدرس طابع النقاش العلمي، كما أشار المؤلف لدى وصفه لطريقة سير درس الشيخ عمر بن عبد القادر التلاني الذي كان ينتقد مؤلفات الشروح كشرح الزرقاني لمختصر خليل، والمناوي في تدريس "الجامع الصغير" والشهاب الخفاجي في تدريس "الشفاء" والشيخ السنوسي في تدريس "عقائده" والجلال المحلي في تدريس جمع الجوامع، وغيرها من المصنفات التي كانت تشكل مواد الدراسة².

ومن خلال هذا الرصد الدقيق لطرق التدريس التي عاينها المؤلف في توات والتكرور وسجلماسة يتضح جلياً مدى التشابه الكبير في الطرق التعليمية بين هذه الفضاءات العلمية حاضرة في مواد الدراسة التي سيطر عليها مصنفات الفقه المالكي وأراجيزه والتي حرص العلماء ومتصدري حلق الدرس في تبسيطها للطلبة، وهذا مايعطي صورة واضحة على مدى التواصل العلمي بين توات وجوارها.

خاتمة:

ومن خلال هذا العرض المتواضع الذي رافقنا فيه مخطوط فهرسة التلاني يمكن أن نستخلص مايلي:

1 - نفسه، ورقة 38 .

2- نفسه، ورقة 02.

- مثلت توات نقطة ربط مفصلية في ربط العلاقة العلمية والحضارية بين حواضر بلاد المغرب الاقصى كسجلماسة وحواضر بلاد السودان كأروان والمبروك وغيرها.
- على اعتبار أن توات كانت معبر للقوافل التجارية القادمة من الشمال والمتجهة للجنوب من جهة والركاب الحاجة القادمة من شمال وجنوب المغرب الاقصى والمتجهة الى البقاع المقدسة، فان هذا ساعد بقدر كبير على انعاش الحركة العلمية في توات وربط صلاتها بحواضر بلاد المغرب، وهذا مايتصح في مرصد الفهرسة إذ أن أغلب العلماء الذين أخذ عنهم المؤلف كان أما رحل اليهم أو ترصدتهم في طريق ذهابهم أو عودتهم من الحج وذلك في محطات استراحتهم كأقبلي وزاجلو.
- أورد المؤلف العديد من الإجازات التي تلقاها من علماء أخذ عنهم وبصرف النظر عن الاجازات التي تلقاها من علماء توات فان إجازاته التي حازها من علماء سجلماسة ووبلاذ السودان ترسم مدى تجذر العلاقة العلمية بين الأقطار الثلاث بدا من حواضر بلاد المغرب مرورا بتوات وصولا الى بلاد السودان ووترجم ذلك حركة الأسانيد الواردة ضمن الاجازات المبسوطه .
- هناك تشابه كبير في طرق التدريس بين الأقاليم الثلاث فطرق التدريس المنتهجة في حاضرة سجلماسة هي المنتهجة في المراكز العلمية في توات وحواضر بلاد السودان، وتطغى عليها مصنفات المذهب المالكي وامتونه، وبالتالي يمكن أن نرسم خطا لإنتشار المذهب إنطلاقا من حواضر المغرب وصولا الى بلاد السودان عبر توات.

المصادر والمراجع:

01. الارواني، أحمد بن بابكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية،

مخطوط بالمكتبة الزيدانية، نيامي النيجر.

02. بن أحمد، محمد التمنطيبي، الرحلة في طلب العلم، خزانة سيدي أحمد ديدي، تمنطيط.

03. البلبالي محمد عبد الكريم بن عبد المالك، غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التتلاني، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار .

04. البلبالي، محمد بن عبد الرحمن، غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من النوازل، مخطوط، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار .

05. البوداوي محمد بن المبروك، مرثية الشيخ عبد الرحمن بن عمر، مخطوط بخزانة آل الجوزي، أولاد سعيد، تميمون، أدرار .

06. التتلاني، أحمد بن يوسف، وثيقة حبوس تتلان، خزانة تتلان، أدرار.

07. التواتي عبد الرحمن بن عمر، الرحلة الحجازية، خزانة باعبد الله، أدرار.

08. التواتي عبد الرحمن بن عمر، مختصر الدر المصون في إعراب القراءان، خزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار.

09. التواتي، عبد الرحمن بن عمر، مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون، خزانة شيخ الركب النبوي الشريف، زاوية سيدي أحمد بن أبي نعامة، أقبلي، أولف.

10. التواتي، عبد الرحمن بن عمر، مختصر النوادر، خزانة الشيخ الحاج محمد باي، الركينة أولف.

11. التواتي، عبد الرحمن بن عمر، مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم، خزانة شيخ الركب النبوي، الزاوية العقباوية، أقبلي.

12. الطاهري مولاي أحمد الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.

13. بن عبد الكريم، محمد التمنطيبي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام،

مخطوط بخزانة بن عبد الكبير المطارفة، اوقروت، أدرار .

14. بن عبد الكريم، محمد التمنطيبي، جوهر المعاني قيمن ثبت لدي من علماء القرن الثاني، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

15. العقباوي، سيد البكاي بن سيدي عزيزي، تقييد حول حياة شيخ الركب النبوي، سيدي محمد بن أبي نعامة الكنتي، مخطوط بخزانة شيخ الركب النبوي، الزاوية العقباوية، اقبلي، أولف، أدرار.

16. الفلاني، أبي عبد الله، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

17. مؤلف مجهول، تقييد حول نسب العائلة التتلانية، مخطوط بخزانة باعبد الله، أدرار.

18. مجهول، تقييد لأنساب العائلة التتلانية، خزانة تتلان، أدرار.

19. مجهول، تقييد لنسب العائلة التتلانية، خزانة باعبد الله ، أدرار.

20. الزجلوي، محمد بن محمد العالم ، مرثية الشيخ عبد الرحمن بن عمر، مخطوط بخزانة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف, أدرار.

21. المهداوي، عبد القادر، الدرة الفاخرة في المشايخ التواتية، خزانة باعبدالله، أدرار.